السياحة المظلمة: مقاربة مفاهيمية

Dark Tourism : Conceptual Approach

الباحثة: قـــــاسي نجــــــاة [1]

طالبة دكتوراه علوم، كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة محـمد بن أحمد- وهران 2 مخبر القانون، المجتمع والسلطة (الجزائر)

kaci-nadjet@live.com

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر
09 مارس 2018	01 أكتوبر 2018	31 مارس 2019

الملخص:

تناول هذا البحث محاولة لتعريف "السياحة المظلمة"، والتي تعتبر نوعاً من أنواع السياحة المرتبطة بالموت والمعانات؛ ذلك أن مصطلح السياحة المظلمة حديث الظهور في المجال الأكاديمي. لذلك سعينا من خلال هذا البحث لتسليط الضوء على مفهوم السياحة المظلمة وظهورها، وكذا الغاية والأسباب والدوافع وراء الإهتمام بهذه السياحة التي أصطلح عليها بالمظلمة أو المعتمة أو السوداء، لإرتباطها ببعض الملامح المظلمة والمأساوية للإنسانية مثل الموت والمعانات والعنف؛ والتي كانت وراء تحويل ساحات الحرب والقتال والسجون، وكذا مواقع المآسي والمحارق والمجازر والكوارث لوجهات سياحية ومتاحف ومعالم للسياحة المظلمة، بغض النظر عن الدافع لذلك سواء كان الميول أو الفضول أو العاطفة. حاولنا من خلال هذا البحث الإحاطة بمفهوم السياحة المظلمة وظهورها، وبيان بعض صورها، وكذا دوافع الإهتمام بها. لننتهي في الأخير إلى أن الإهتمام المتزايد بهذه السياحة يرجع للتطور التكنولوجي من جهة وسرعة تداول الأخبار والإنجذاب نحو هذه الأحداث والمواقع المتصلة بالموت والمعانات من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: السياحة المظلمة، الموت والمعاناة، ساحة القتال، سياحة الإبادة الجماعية، سياحة الرقّ أو العبودية.

Abstract

During the past century, there has been an increase of academic interest in one of the tourism's forms related to death, suffering, violence and pain, which has emerged in recent years as a result of spill over due to globalization, the attraction of tourists to such events and sites, and other factors that made the battlefields, Massacres, disasters a popular tourism destination. Which allowed the establishment of the so-called "dark tourism", through making these sites into museums or dark tourism attractions, those latters allows the tourist to open a window over a past connected to suffering that occurred in these sites and events and enable him to live different experiences. Hence, the purpose of this research is to pursue the literature and compile a comprehensive list of definitions and potential visitor motivations to sites of dark tourism.

Key Words*: Dark tourism, death and suffering, battlefield tourism, genocide tourism, slavery tourism.*

---

[1] – المؤلف المرسل: ب. قاسي نجــــاة / إيمايل: ***kaci-nadjet@live.com***

مقدمة:

لا تعتبر السياحة المظلمة نشاطاً حديثاً، إذ طالما إنجذب الناس نحو المواقع والأحداث المتصلة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالموت، المعانات والعنف أو الكوارث، فنجد مثلا ألعاب المقاتلة الرومانية *[Gladiatorial Games]* وحضور الإعدامات العلنية في القرون الوسطى. فمن أول أشكال هذه السياحة في العصر الحديث أول جولة إرشادية في إنجلنترا سنة 1838 التي كانت على متن قطار لحضور شنق رجلين قاتلين. كما أن زيارة المشارح كانت ظاهرة شائعة في جولات القرن التاسع عشر في باريس، والتي لعلها كانت رائدة لمعارض *[Body Worlds]* في لندن وتوكيو وأماكن أخرى منذ أواخر 1990؛ والتي جذبت عشرات الآلاف من الزائرين. كذلك أعتبرت المواقع والأماكن المرتبطة بالحرب أحد الوجهات السياحية الأكثر رواجا وتنوعا منذ القرن الماضي، وعليه تعتبر هذه الأخيرة أحد مظاهر السياحة المرتبطة بالموت والمعانات. إذ أن هذا النوع من السياحة كثيرا ما يرتبط بمواقع معينة مثل الطابق السادس في دلاس (تكساس)، المقابر، السجون، الأعمال الوحشية والمذابح أو مخلفات العبودية. بيد أن هذا التنوع في عوامل الجذب المرتبطة بالموت من "تجربة دراكولا" *[Dracula Experience]* في المملكة المتحدة أو متحف الجنائز بفيينا *[Vienna's Funeral Museum]* إلى مواقع الوفايات الشهيرة أو الكوارث الكبرى مثل غراوند زيرو *[Ground Zero]*، خلقت صعوبة في تصنيف هذه الأنواع.

بالرغم من الوجود التاريخي المتنوّع والمتزايد للسفر والإنجذاب نحو مواقع ذات صلة بالموت والمعانات والعنف، إلا أن هذه الظاهرة لم تعرف إهتماما من قبل الفقهاء إلا مؤخراً في ظل ما أُصطلح عليه بـ"السياحة المظلمة" *[Dark Tourism]*؛ والتي شهدت عدة محاولات لتسميتها فأطلق عليها: سياحة مروّعة أو فظيعة *[Morbid]*، تاناتوريزم *[Thanatourism]*، الموقع الأسود *[Black-Spot]*، الممارسات البشعة *[Milking the Macabre]*. بالإضافة لذلك بدأ الإهتمام بدراسة بعض مظاهر السياحة المظلمة مثل بعض متاحف الحروب التي إعتمدت على تقنيات تقليدية وحديثة لعرض ذكرى الإبادات الجماعية والخلفيات السياسية لهذه الأخيرة؛ وكذا الدوافع التي تجذب الزوّار لمثل هذه المواقع والأحداث، التي تختلف بين الفضول أو البحث عن الهوية الجماعية أو البقاء في مواجهة عنف الحياة اليومية.

ولما كانت السياحة المظلمة مرتبطة بأحد جوانب الإنسانية المتمثلة في الموت والمعانات، فإن أهمية البحث تظهر من حيث محاولة توضيح المقصود بالسياحة المظلمة، وتتبع أسباب ودوافع ممارستها، وكذا سبب الإهتمام الأكاديمي بهذه الظاهرة. أما في الجانب العملي فتسعى لعرض مدى وجود وممارسة هذه السياحة على أرض الواقع، ومكانتها في مجال السياحة بصفة عامة. وإذا ما كان يتطلب تشجيع هذا النوع من السياحة والترويج له.

مما سبق، تتمحور إشكالية هذه الدراسة على إلقاء الضوء على مفهوم السياحة المظلمة والمقصود من وراء إعطاءها هذا الوصف، كما نسعى لتعقّب ظهورها والأسباب الدافعة إليها، محاولين الإجابة على عدة تساؤلات لا سيما النقاط الآتية:

– هل هناك تزايد لهذا النوع من السياحة المرتبط بالموت والكوارث والفظائع، خاصة في أواخر القرن العشرين والحادي والعشرين؟

– ما هي الدوافع وراء الإهتمام بهذه المواقع؟ هل يعتبر ذلك مجرد فضول وإنجذاب لما هو عتيم أم أن إستغلال هذه المواقع راجع لإعتباراتٍ أخرى؟

– هل هناك إرتفاع في عدد هذه المواقع؟ وهل يوجد إهتمام جديّ بتحديدها؟

– هل هناك تنظيم قانوني للسياحة المظلمة؟ وهل تحتاج لنظام يحكمها وينظمها؟.

للإجابة على إشكالية الدراسة إعتمدنا على كل من المنهج التاريخي لعرض وتحليل وتفسير ظهور السياحة المظلمة، والمنهج الوصفي لوصف هذه الظاهرة وبيان صورها. كما قمنا بتقسيم الدراسة إلى محورين، تضمن المحور الأول مفهوم السياحة المظلمة من حيث تعريفها وظهورها وتصنيفها؛ أما المحور الثاني فخصصناه لعرض بعض نماذج السياحة المظلمة.

المحور الأول: مفهوم للسياحة المظلمة

السياحة المظلمة أو السياحة المعتمة أو السياحة الداكنة أو السياحة السوداء، كلها تسميات أطلقت على أحد أشكال السياحة غير التقليدية، والتي لها صلة ببعض الملامح المظلمة والمأساوية للإنسانية مثل الموت والمعانات والعنف والقتل والتعذيب والإبادة والكوارث...؛ ولفهم أحسن لهذا الشكل من السياحة لابد من الإحاطة بتعريفها وظهورها وكذا تصنيفها. والجدير بالذكر أننا فضّلنا في هذه الدراسة إستخدام مصطلح "السياحة المظلمة" لقربه –حسبنا– من المصطلح الأصلي المتمثل في [*Dark Tourism*].

1- ظهور فكرة السياحة المظلمة:

ظهرت فكرة السياحة المظلمة ضمن البحوث الأكاديمية منذ حوالي خمس وعشرين (25) سنة، وقد كان لهذه الفكرة وقع كبير آنذاك، ذلك أنه كان ينظر للسياحة على أنها نشاط ترفيهي، ممتع، بهيج وغير ضار، بل وإعتبره البعض وسيلة لإلتقاء المجتمعات والثقافات وعاملاً للسلام والتفاهم؛ وبالتالي فإن التفكير بأنه قد يكون لها مظاهر مظلمة وملموسة أُعتبر شيئا خياليا وصادما في نفس الوقت. وعليه وبمجرد بروز هذه الفكرة، فُتحت آفاق جديدة للسائح، وتطورت في مجال كان يعتبر تقليدياً، مجالاً إقتصادياً محضاً وقامت بفتح روابط جديدة مع مختلف مظاهر الإحساس والتصرف البشري، كما ساهمت في توفير إطار لتسيير وإستغلال موارد ومواقع سياحية متنوعة ومتعددة الإستخدامات. وقد تم التركيز في بادئ الأمر على المواقع،

غير أنه سرعان ما إتضح أن الأحداث التي إحتضنتها هذه المواقع هي من يضفي طابع العتمة عليها[1].

من بين أول مظاهر السياحة المظلمة في العصر الحديث، الحريق الذي شب في سفينة [SS *Morro Castle*] الأمريكية في 1934/09/08 والذي أودى بحياة 549 شخصاً، وقد جذب هذا الحادث حسب تقارير الصحافة آنذاك حوالي ربع مليون شخص بعد ما تم ذيوع الخبر عبر الصحافة المكتوبة والسمعية، كما تم إيجاد عروض خاصة للتنقل لموقع الحدث عبر القطار من نيو يورك [*New York*] وفلادلفيا [*Philadelfia*]، وعليه أعتبر هذا الحدث من بين مظاهر السياحة المظلمة. كما أن هذا النوع من السياحة تزامن مع ظهور ظاهرة السفر ذاتها، فطالما إنجذب الناس نحو كل ما له صلة بالموت والعنف والمعانات والكوارث؛ وهو ما يشهد عليه التاريخ منذ العصر الروماني أين عُرفت ألعاب المقاتلين [*Gladiatorial Games*]، الإعدامات العلنية في العصور الوسطى، زيارة مواقع المعارك والمشارح في القرن التاسع عشر التي شاعت في باريس وكانت إنطلاقة لمعارض [*Body Worlds*][2] في لندن وتوكيو وأماكن أخرى، والتي أثارت عشرات الآلاف من السياح منذ أواخر التسعينات[3].

بالعودة إلى أصول الإهتمام الأكاديمي بالسياحة السوداء، فإن الإشارة لها كانت لأول مرة من قبل روجيك [*Rojek*] سنة 1993، والذي إعتبر "المواقع السوداء" [*Black-Spot*] أو التسويق التجاري للمواقع التي تحتوي على مقابر أو التي عرفت وفايات جماعية وعنيفة من قبيل عوامل الجذب السياحي[4]. غير أن أول من إعتمد مصطلح "السياحة المظلمة" كان فولاي ولنون [*Foley and Lennon*] في أحد مقالاتهما سنة 1996، والذي تم توسيعه وتدعيمه بأمثلة ضمن كتاب أصدراه سنة 2000، والذي أرادا من خلاله التعريف بنوع حديث من الوجهات السياحية المختلفة عن ما هو معروف في السياحة التقليدية القائمة على الترفيه. ثم جاء سيتون [*Seaton*] سنة 1996 ليتكلم في مقال له عن السياحة المتعلقة بالحرب النابعة من ميولاته الشخصية للمعارك والحروب ومن إهتمامات السياح بصفة عامة، وربطها بالمواقع المتعلقة بالموت؛ وقد جاء سيتون بالمصطلح المركب [*Thanatourism*] الذي قصد به "اللقاء الفعلي أو الرمزي مع الموت"، أو "تجسيد الموت". كما جاء كذلك خلال هذه السنة جون تونبريدج

---

[1]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, « Have illuminated the dark?: Shifting perspectives on 'dark' tourism », Tourism Recreation Reaserch, Vol. 40, No 3, 2015, p-p, 316-325.*

[2]- الموقع الإلكتروني لمعرض [Body Worlds]: https://bodyworlds.com/

[3]- *Richard Sharpley, « Shedding Light on Dark Tourism: An Introduction », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 3-5.*

[4]- *Ibid, p 13.*

وأشوورث [*John Tunbridge and Ashworth*] في مؤلفهما حول "التراث المتنافر" [*Dissonant Heritage*]، أين تكلما عن التراث الموروث كجانب من الماضي المستخدم في الحاضر، والذي إعتبر أن هذه المواقع والأشخاص لم تكن دوما في تناغم وتوافق وإنما عرفت كذلك عدم الإنسجام والتنافر؛ فالتراث إذن حسبه لا يحمل فقط معاني إيجابية بل له مخزونه من الممارسات والأفكار السلبية. ومنه بدأ بعض المؤلفين في إستعمال مصطلح " التراث المظلم"[1].

مما سبق الإشارة إليه، يمكن القول بأن الإهتمام بالسياحة المظلمة إنطلق من هذه الفترة ذلك لأنها شهدت عدة تغييرات سياسية وإجتماعية بين 1985-1995، على الخصوص نهاية الحرب الباردة، فتح أوروبا الشرقية ونشوء فكرة "أوروبا الوسطى" [*MittleEuropa*][2] مما شجّع على الإهتمام بتراث النظام النازي والسوفياتي والمحرقة اليهودية [*Jewish Holocaust*] وأتاح الوصول إليها؛ وأصبحت القصص والأحداث المنسية المرتبطة بهذه الفترة أساس الجذب السياحي (من مخبأ هيتلر، برلين، متاحف الستاسي [*Stasi*] المتواجدة في عدة مدن ألمانية، إلى معسكرات الموت في بولندا وألمانيا الشرقية). كما أن نهاية التمييز العنصري في جنوب إفريقيا خلال 1994 جذب إهتماما جديدا بالمواقع والأحداث والشخصيات في هذه المجتمعات العرقية فاتحاً بذلك فرصاً سياحيةً جديدةً[3].

ما تجدر الإشارة إليه، أن الإهتمام بما هو مرتبط بالموت والكوارث والعنف هو ظاهرة قديمة قدم السياحة بذاتها، غير أن الإهتمام الأكاديمي بهذه الفكرة لم يظهر إلا في العشرينية الأخيرة؛ وقد دعم هذا الإهتمام إطلاق عدة مجلات لعرض ومناقشة هذه الدراسات، لاسيما المجلة الدولية للدراسات التراثية سنة 1995 [*The International Journal of Heritage Studies*]، مجلة السياحة التراثية سنة 2006 [*Journal of Heritage Tourism*]؛ كما تم في سنة 2012 تأسيس معهد "السياحة المظلمة" في جامعة لانكشاير الوسطى [*Central Lancashire*] في بريستون [*Preston*] من أجل جمع ومقارنة مثل هذه الدراسات[4].

فيما يخص المواقع أو المعالم في هذا المجال -المتعلقة بالموت والمعانات والعنف-، فالملاحظ أن هذه الأخيرة في تزايد مستمر نظرا للتطور التكنولوجي والترويج الصحفي للأحداث والمواقع المروّعة من جهة، ومن جهة أخرى هناك عدة أشخاص يسعون لإستغلال هذه الأحداث والمواقع لأهداف سياحية وربحية؛ على مثال ذلك المزارع من بنسلفانيا [*Pennsylvania*] والذي طلب مبلغ

---

[1]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*

[2]- [*MittleEuropa*] هي كلمة ألمانية، ولم يكن يقصد بهذا المصطلح المعنى الجغرافي للكلمة وإنما هو تعبير عن دور اللغة والأعمال الأدبية والفكرية الألمانية في أوروبا الوسطى.

[3]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*

[4]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*

65 $ عن كل شخص مقابل إصطحابهم إلى موقع تحطم طائرة الرحلة رقم 93 التابعة للخطوط الجوية الأمريكية، والتي تعتبر أحد طائرات أحداث 11 سبتمبر 2001. كما أن السياحة المظلمة أصبحت معترفاً بها على نطاق واسع كشكل من أشكال السياحة وكأداة ترويجية، من خلال عدد من المواقع الإلكترونية التي قامت بإدراج عدد من المعالم المظلمة حول العالم[1]، على مثال موقع [http://www.dark-tourism.com/]. كما لوحظ مؤخرا الإنجذاب الكبير للسياح نحو مواقع المآسي أو الحوادث المريعة، على مثال مدينة سوهام [Soham] في كامبريدجشاير [Cambridgeshire] بالمملكة المتحدة التي شهدت إختطاف وقتل تلميذتين في صفّ الثانوية، وأين ناشد سكان هذه المدينة سنة 2002 السلطات بوقف ما عُرف بـ"سياحة الحزن أو الأسى"، التي تمثلت في ولوج عشرات الآلاف من السياح إلى المدينة – الذين إستمالتهم التغطية الإعلامية الواسعة لهذا الحدث –، لوضع الورود وإشعال الشموع في الكنيسة المحلية أو للتوقيع في كتاب التعزية. وخلال نفس السنة إتجه حوالي ثلاث ملايين ونصف سائح نحو غراوند زيرو [Ground Zero] بنيويورك، وهو تقريبا ضعف عدد السياح الذين إستقطبتهم منصّة المراقبة التابعة لمركز التبادل العالمي [Observation Platform of the World Trade Center] قبل أحداث 11 سبتمبر 2001[2].

2- تعريف السياحة المظلمة:

كما سبقت الإشارة إليه أعلاه، فقد ظهر الإهتمام الأكاديمي بالسياحة المظلمة إلا مؤخراً وكان من أول التعريفات التي منحت لها، تعريف فولاي ولنون [Foley and Lennon] واللذان أشارا إليها على أنها: "ذلك المنتوج القائم على الموت والكوارث والفظائع؛ فهو مزيج من العوامل الحديثة والظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والسوسيولوجية والتكنولوجية، التي جعلت منهذه المواقع والأحداث منتجاً للسياحة المظلمة[3]". ثم توالت محاولات تعريف السياحة المظلمة من قبل عدد من الباحثين والمؤلفين على مثال: سيتون [Seaton] وجون تونبريدج وأشوورث [John Tunbridge and Ashworth] كما سبق ذكره أعلاه؛ والتي إستندت غالبها على تعريف فولاي ولنون وحاولت تقديم بعض صور السياحة المظلمة.

وعليه، يمكن تعريف السياحة المظلمة على أنها السفر لزيارة المواقع المرتبطة بالموت والمعانات والمآسي الإنسانية ومختلف أنواع الفظائع والرعب والدّمار وكذا الكوارث الطبيعية، سواءاً كانت لهذه المواقع علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الموت والمعانات والعنف (مثل المقابر،

---

[1]- *Richard Sharpley, op.cit, p5.*

[2]- *Ibid, p5.*

[3]- *Jhon Lennon and Malcolm Foley, Dark Tourism: the Attraction of Death and Disaster, Third Edition, Thomson Learning, 2006, p3.*

ساحات القتال، مواقع الإبادة الجماعية) أو كان قد تم إنشاءها لتعكس هذه المظاهر والملامح (مثل النصب التذكارية والمتاحف). بيد أنه تجدر الإشارة إلى أن مفهوم السياحة المظلمة إنحرف في بعض الأحيان عن مفهومه الأصلي ليتّجه نحو ما هو غريب وخارق وغير مألوف (مثل مصانع التسلية أو المتعة المظلمة).

3- تصنيفات السياحة المظلمة:

كما هو الأمر في أغلب مجالات البحث، بظهور فكرة أو ظاهرة جديدة يصاحب ذلك ظهور تقسيمات وفروع متعددة وبالتالي يتبع ذلك محاولة تصنيف هذه الأخيرة. وفي موضوعنا هذا تمّت محاولة تصنيف مجموعة من المواقع والمعالم والأحداث على أساس وصفي، فظهرت عدة أصناف وتسميات مختلفة: "التاناتورزم" [*Thanatourism*]؛ "سياحة الحرب"؛ "سياحة المواقع السوداء" [*Black-Spot Tourism*]؛ "سياحة مروّعة أو فظيعة" [*Morbid Tourism*]؛ "السياحة الوحشية" [*Atrosity Tourism*]؛ "سياحة الكوارث الطبيعية". وتفرعت عن هذه الأصناف عدة تفرعات منها "سياحة مواقع القتل أو الجريمة" [*Killing Field Tourism*]؛ "السياحة المرتبطة بالعبودية [*Slavery-associated Tourism*]؛ "السياحة المرتبطة بالإرهاب" [*Terrorism associated Tourism*]؛ "سياحة المحارق" [*Holocaust Tourism*][1]؛...إلخ. وعليه إختلف كل باحث في تصنيف هذا النوع من السياحة وحتى في تسميتها. فرأى سيتون [*Seaton*] مثلا أن السياحة المظلمة تحتمل خمسة أصناف فقط بما فيها: حضور تنفيذ الإعدامات العلنية، زيارة مواقع الوفاة الفردية أو الجماعية، زيارة مواقع النُصُب التذكارية أو الإعتقالات، حضور تمثيل رمزي للوفاة وحضور إعادة عرض أو تمثيل أحداث تتعلق بالوفاة. وفي ظل التنوع الهائل للأحداث والتجارب والمواقع السوداء، تعذر إيجاد تصنيف واحد لها، مما دفع لمحاولة إيجاد تصنيف حسب درجات حدة السياحة المظلمة؛ فإقترح مايلز [*Miles*] مثلا أن يتم التمييز بين السياحة "السوداء" [*Dark*] و"الأكثر سواداً" [*Darker*]، على أساس الموقع أو الوجهة بحجّة أنه هناك فرق بين مواقع مرتبطة بالموت ومواقع الموت والكوارث والمعانات، إذ يشكل الرحلة/الزيارة أو السفر لهذه الأخيرة درجة أكثر حدة من السياحة السوداء؛ وعليه فإن السفر إلى معسكر "أوشفيتز بيركينو" [*Auschwitz-Birkenau*][2] حسب مايلز [*Miles*] أكثر سوادا من زيارة النصب الأمريكي التذكاري للهولوكوست [*US Holocaust Memorial*] في العاصمة واشنطن [*Washington DC*][3].

---

[1]– *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*

[2]– يعتبر معسكر "أوشفيتز بيركينو" [*Auschwitz-Birkenau*] أحد أشهر وأهم معسكرات التركيز والإبادة الستة التي أنشأها النازية الألمان لتنفيذ سياسة الإبادة الجماعية ليهود أوروبا، تم إنشاءه سنة 1940 في بولندا.

[3]- *Philip Stone and Richard Sharpley, « Consuming Dark Tourism: A Thanatological Perspective », Annals of Tourism Research, Vol 35, N° 2, 2008, p578.*

أما فولاي ولنون [*Foley and Lennon*] فقد إستندا على البعد التاريخي كأساس للتصنيف، فإعتبرا الموقع الأكثر سوادا ينبع من حداثة الأحداث أو من إستعمال الوسائل التكنولوجية لنقل هذه الأحداث الماضية للذاكرة الحية للزوّار؛ وعليه جاءا بتدعيم حجّة مايلز [*Miles*] الذي إفترض بأن السياحة المظلمة تستند على عواطف ومشاعر الزوّار مدعّمة بالطابع المكاني/الزماني للموقع. كذلك إقترح شاربلي [*Sharpley*] أنه إستناداً على تفاوت حدة الهدف بين العرض والطلب، يمكن تحديد درجات مختلفة من السّواد؛ إعتماداً على كل من إهتمام وإنجذاب السائح نحو ظاهرة الوفاة من جهة وعلى مدى تنمية جاذبية هذه المواقع لإستغلال هذا الإهتمام والإعجاب، وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون الموقع أو الحدث إما أكثر أو أقل سواداً[1]. كما يرى شاربلي [*Sharpley*] ضرورة التمييز بين المواقع التي أصبحت مناطق جذب للسياح بفعل الصدفة، وتلك التي كان يهدف منها هذه الجاذبية من خلال إستغلال إهتمام السياح بمظاهر الموت والعنف والمأساة والمعانات؛ ومن هنا يرى أنه يمكن وضع تصنيف للسياحة المظلمة قياسا على مدى هيمنة عنصر الجذب نحو هذه المواقع من جهة، ومدى إستغلال هذا الموقع لإشباع هذا الإهتمام من جهة أخرى؛ وعليه يمكن إستنتاج أربعة درجات للسياحة المظلمة:

- **السياحة الشاحبة** [*Pale Tourism*]: متى كان للسياح حدّ أدنى من الإنجذاب نحو الموت والمآسي، وكانت هذه المواقع غير موجهة لجذب هؤلاء السياح.
- **سياحة الطلب الرمادية** [*Grey Tourism Demand*]: متى كان السياح لهم إنجذاب وإهتمام بالموت والمآسي، وكانت هذه المواقع غير موجهة لجذب هؤلاء السياح.
- **سياحة العرض الرمادية** [*Grey Tourism Supply*]: متى كانت المواقع موجهة لإستقطاب وإستغلال الموت والمأسي، وكان للسياح حدّ أدنى من الإنجذاب نحوها.
- **السياحة السوداء** [*Black Tourism*]: هنا يقترن إنجذاب السياح نحو الموت والمآسي مع طبيعة الموقع الذي وُجد خِصيصا لإشباع هذه الرغبة.
- **مما سبق عرضه، يمكن تصنيف الأحداث والمواقع في مختلف هذه الدرجات، فالمثال السابق حول "الرحلة رقم 93" تصنف ضمن السياحة السوداء، أما زيارة مقابر الشخصيات المعروفة مثلا فتصنف ضمن السياحة الشاحبة (لأن السياح في هذه الحالة مهتمون بحياة هؤلاء أكثر من وفاتهم)[2]. كما تناول ستون** [*Stone*] **من جهته مسألة التصنيف، وإقترح تشكيلة من الدرجات من الأكثر إلى الأقل سوادا على أساس مجموعة من العوامل الزمنية والمكانية، السياسية والإديولوجية، التي تحدد شدّة سواد أي منتج سياحي (الشكل رقم 01)[3].**

---

[1]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*
[2]- *Richard Sharpley, op.cit, p-p, 19-20.*
[3]- *Philip Stone and Richard Sharpley,, op.cit, p 579.*

الشكل رقم 01: يبيّن سلّم تدرّج السياحة السوداء حسب ستون [Stone]

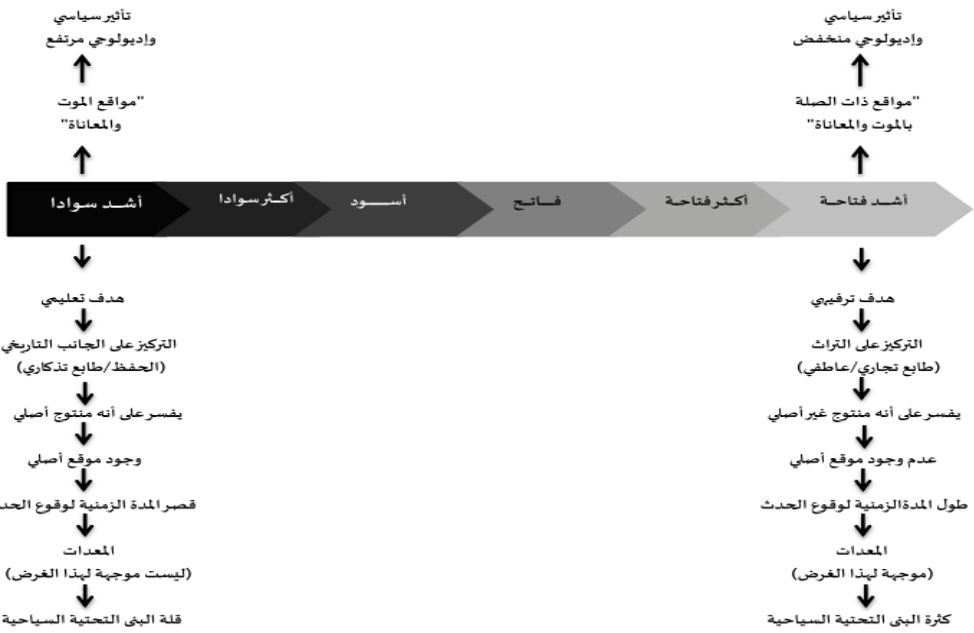

المصدر:
Philip Stone and Richard Sharpley, « Consuming Dark Tourism: A Thanatological Perspective », Annals of Tourism Research, Vol 35, N° 2, 2008, p578.

وعليه فإن دراسة السياحة السوداء يؤدي لا محال إلى دراسة مشاعر وعاطفة السياح تجاه هذه المواقع والأحداث والتي يمكن وصفها على أنها: "الإستجابة على المدى القصير لتأثيرات خارجية"؛ وهي تختلف من شخص لآخر ومن بينها: الفضول، التعاطف، الإضطراب الذهني، الشعور بالإهانة، بالغضب أو حتى بالخوف[1]... .

غير أننا نرى بأنه إذا إستندنا على المشاعر والعواطف وحدها لتصنيف السياحة المظلمة فإن ذلك لن يأتي بنتيجة موضوعية، ذلك لأن العواطف مسألة معنوية يصعب تحديدها وبالتالي يصعب تحديد ما هو سلبي وما هو إيجابي، كما أن هذه العواطف والمشاعر تختلف من شخص إلى آخر على حسب صلته أو تأثره بالحدث أو بالموقع، وعليه فإن هذا التصنيف سيكون ذاتيا وليس موضوعيا، ومنه نرى الجمع بين عدة عوامل ذات الصلة (المكان، الزمان، العاطفة، بشاعة الحدث، العوامل السياسية والإديولوجية المحيطة به،...) في سبيل الوصول لتصنيف محدد وموضوعي لهذا النوع من النشاط؛ كما أننا نؤيّد فرضية تصنيف هذه الأخيرة على درجات حسب شدتها أو سوادها.

[1]- *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, op.cit, p-p, 316-325.*

أما في العالم العربي، فلم نجد إهتماماً أكاديمياً بالسياحة المظلمة إلا من خلال بعض المقالات المبعثرة في الجرائد أو المنتديات، ماعدا دراسة بعنوان: "دور السياحة المظلمة في تنمية الطلب على المنتج السياحي المصري"، التي أجرتها ثلاث باحثات بكلية السياحة والفنادق بالإسكندرية (عبير عطية، دلال عبد الهادي وسلمى المنهالي)؛ والتي قام بنشرها معهد البحوث السياحية اليوناني. وقد أشارت هذه الدراسة لوجود عدة مواقع للسياحة المظلمة في مصر على مثال: أطلال ممرات المطر بسيناء (سياحة الكوارث الطبيعية)؛ مواقع مذابح العريش ورفح والشيخ، وقلعة الجندي في رأس سدر؛ ضف إلى ذلك مقابر شهداء حرب أكتوبر والمتاحف والنصب التذكارية في هذا المجال (سياحة الحروب والمعارك)[1].

غير أن قلة الدراسات والإهتمام الأكاديمي بالسياحة المظلمة في الوطن العربي لا يعني غيابها على أرض الواقع، إذ نجد عدة مواقع ومتاحف ونصب تذكارية في هذا المجال على مثال: متاحف المجاهد في الجزائر؛ مواقع الحروب في سوريا خاصة في حلب؛ الكنيسة المظلمة في تركيا؛...إلخ. والملاحظ أنها تتعلق خاصة بالحروب والمعارك.

المحور الثاني: بعض نماذج السياحة المظلمة

تظهر السياحة المظلمة في عدة صور تختلف في حدّتها كما أشرنا أعلاه، فنجد مثلا: سياحة الإبادة الجماعية [*Genocide Tourism*]، سياحة الرّق أو العبودية [*Slavery Tourism*]، سياحة ساحات القتال [*Battlefield Tourism*]، سياحة السجون [*Prison Tourism*]؛ سياحة الكوارث الطبيعية، السياحة المرتبطة بالإرهاب [*Terrorism associated Tourism*]... إلخ؛ كما تظهر السياحة المظلمة في صور أقل حدّة تسعى للترفيه بإستعمال بعض المظاهر المظلمة أو المخيفة أو غير العادية وهو ما أُصطلح عليه بمصانع المتعة المظلمة [*Dark Fun Factories*]. ونكتفي من خلال هذا الجزء بالتفصيل في بعض هذه الأنواع وأكثرها شيوعا.

1- سياحة الإبادة الجماعية [*Genocide Tourism*]:

قد يرى البعض أنه من غير المرجّح الجمع بين مصطلحي "السياحة" و"الإبادة الجماعية"، كما قد يفاجئ الشخص العادي بوجود مثل هذا النشاط، بيد أنه ولإعطاء فكرة عن نطاق "سياحة الإبادة الجماعية" تجدر الإشارة إلى أنه مع مطلع التسعينيات شهد موقع

---

[1]- أنظر: سارة درويش، "مناطق الكوارث الطبيعية والحروب والمقابر تجذب عشاق "السياحة المظلمة"، دراسة ترصد خريطة مزاراتها في مصر بين ساحات معارك قديمة ومدافن وممرات سيول، ووكالات السفر توصي بزيادة التوعية والإهتمام ببنيتها التحتية"، على موقع:

https://www.youm7.com/Home/Search?allwords=%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AD%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B8%D9%84%D9%85%D8%A9

تم الإطلاع عليه يوم: 2018/09/21.

معتقل أوشفيتز [*The Auschwitz Concentration Camp*] زيارة حوالي نصف مليون سائح سنويا، إرتفع هذا العدد في وقتنا الحالي إلى مليون سائح سنويا. كما تجذب رواندا [*Rwanda*] حوالي 30.000 سائح سنويا، لزيارة النصب التذكارية للإبادة الجماعية لعام 1994، ولاسيما نصب كيغالي [*The Kigali Genocide Memorial*][1] ونصب كنيسة نتاراما [*The Ntarama Church Memorial*][2]. إذن تعتبر سياحة الإبادة الجماعية شكلا متطرّفا من أشكال السياحة المظلمة، والتي تتطلب دراسة جادّة وحساسة لهذه الظاهرة. وخلال التحدث عن هذا الشكل من السياحة قد يتبادر للأذهان "المحارق" [*Holocaust*] بإعتبارها الصورة النموذجية للإبادة، إلا أنه من الضروري لدراسة سياحة الإبادة الجماعية، التطرق لتعريف هذه الأخيرة والتمييز بين ما يعتبر إبادةً وما يخرج عن هذا النطاق[3].

يعتبر مصطلح "الإبادة" [*Genocide*] حديثاً نسبياً وهو دمج بين [*-cide*] الذي يقصد به القتل و[*Geno-*] الذي يقصد به في اللغة اللاّتينية جمع من الناس أو عرق من الناس، جاء بها المصطلح لأول مرة الدكتور البولندي اليهودي رافايال لمكين [*Dr Raphael Lemkin*] خلال 1930، حين إستعمله لوصف مجزرة المسيحيين الآشوريين من قبل العراقيين. وبعد سقوط ألمانيا النازية، قامت الأمم المتحدة سنة 1948 بتكريس هذا المفهوم في سياق القانون الدولي من خلال تبني إتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها؛ وقد حصرت هذه الإتفاقية معنى الإبادة في القتل الجماعي للأشخاص على أساس عنصري وليس سياسي أو إجتماعي[4].

وقد تمّ تفعيل هذه الإتفاقية عدة مرات: في رواندا سنة 1998 بعد أعمال الإبادة الجماعية التي حدثت في 1994؛ في صربيا [*Serbia*] سنة 2007 على الجرائم المرتكبة ضد شعوب البوسنة والهرسك في يوغوسلافيا سابقا؛ وضد رئيس السودان عمر البشير في جويلية 2008 حول الإدعاءات الموجّهة إليه بخصوص الأعمال الوحشية التي حدثت في دارفور [Darfur] بين 2003 و2008. وفي ذات السياق، نشير إلى أن أصل الدراسات حول سياحة الإبادة

---

[1]- يعتبر النصب التذكاري للإبادة الجماعية في كيغالي [*The Kigali Genocide Memorial*] مكانا يضم أكثر من نصف مليون (250.000) شخصا الذين كانوا ضحية للإبادة ضد التوتسي في رواندا سنة 1994، ويخلّد ذاكرتهم.

[2]- نصب كنيسة نتاراما [*The Ntarama Church Memorial*] يعتبر أحد متاحف الإبادات الجماعية السّت (6) في رواندا، أين قتل 5000 شخص في كنيسة كاثوليكية بتاريخ 15 جويلية 1994.

[3]- *John Beech, « Genocide Tourism », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p207.*

[4]- جاء في المادة 02 من إتفاقية منع الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها أنه:"... تعني الإبادة الجماعية أيا من الأفعال التالية، المرتكبة قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية..."

تعود لجون تونبريدج وغريغ أشوورث [*John Tunbridge and Greg Ashworth*]، في كتابهم حول "التراث المتنافر" [*Dissonant Heritage*][1].

وعليه، فإن المواقع التي تعتبر معالم جذب لسياحة الإبادة الجماعية هي تلك المواقع التي أُرتكبت فيها الأعمال الشنيعة أو الوحشية، ومواقع النصب التذكارية القريبة منها، أو في بعض الحالات المواقع التي لها علاقة مباشرة بالأعمال الوحشية مثل منزل آن فرانك [*Anne Frank*]، أو بعض المواقع المحايدة مثل متحف ذكرى المحرقة في واشنطن [*The Washington Holocaust Memorial Museum*]. والهدف من هذه المواقع هو عادة مزيج بين غايات تعليمية، بحثية وتذكارية[2].

2- سياحة ساحات القتال [*Battlefield Tourism*]

منذ أكثر من ألف سنة كانت ساحات القتال والمقابر العسكرية والنصب التذكارية وغيرها من المواقع المرتبطة بالحرب محل إهتمام وجذب، نذكر مثلا ألكسندر الأكبر [*Alexander the Great*] الذي أوقف سنة 334 ق.م، غزوه لآسيا من أجل زيارة مدينة طروادة [Troy] التاريخية وقبر أخيليس [*Tomb of Achilles*]؛ وعليه تم إحياء ذكرى المعارك عبر التاريخ بطريقة أو بأخرى، فنجد من أكثر هذه المواقع زيارة: موقع معركة ثيرموبيل [*Thermopylae*] (480 سنة قبل الميلاد)، موقع معركة هاستينغ [*Hastings*] (في 1066)، وموقع معركة واترلو [*Waterloo*] (1815) خاصة موقع تلة الأسد [*The Lion Mound*]، إذ كلها مواقع معروفة والأكثر شيوعا في هذا المجال[3].

وفي ذات السياق، يمكن إعتبار سياحة ساحات القتال أحد أصناف السياحة المظلمة، وهو ما أكده ستون [*Stone*] والذي أدرجها في سلمه ضمن أكثر أصناف السياحة سواداً، لتعلقها الكبير بالموت ودرجة كبيرة من الأصالة؛ كما تعتبر بعض المواقع أكثر سواداً من أخرى نسبة لقصر أو طول المدة الزمنية الفاصلة عن حدوثها، على سبيل المثال الحربين العالميتين اللتين يمكن إعتبارها أكثر حداثة من حروب أخرى وبالتالي أكثر سوادا منها، غير أن الإعتماد على معيار الفاصل الزمني وحده لتصنيف هذه المواقع والأحداث غير كاف بل لابد من معايير أخرى كالموقع الجغرافي وطبيعة تفسير ساحات القتال والبنى التحتية السياحية، وكذا التغطية الإعلامية ووجهة نظر السياح، كلها تلعب دورا في تحديد درجة سواد هذه المواقع.

---

[1]- *John Beech, op.cit, p208.*

[2]- *Ibid, p222.*

[3]- *Franc Baldwin and Richard Sharpley, Battlefield Tourism : « Bringing Organised Violence Back to Life », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p186.*

كما يمكن لهذه المواقع في بعض الأحيان أن تصبح أقل سوادا من خلال النشاطات الترفيهية التي قد يتم تنظيمها بها (مثل إعادة عرض أو تمثيل الأحداث، ...)[1].

وعليه، فقد عرفت سياحة ساحات القتال خلال العقد الماضي تزايداً ملحوظاً، مما يعكس من جهة تطور السياحة بشكل عام، ومن جهة أخرى زيادة عدد الحروب والصراعات العسكرية سواء تلك التي حدثت أو التي لا زالت تحدث منذ مطلع سنوات 1900، خاصةً الحرب العالمية الأولى التي تعتبر نقطةً حاسمةً في بروز سياحة ساحات القتال على نطاق واسع؛ والملاحظ أن هذا النوع من السياحة لا يتعلق بساحات القتال والمعارك فقط بل يمتدّ للنصب والمناسبات التذكارية والمقابر والمتاحف، وغيرها من الهياكل والأماكن التي تقوم بإحياء الحروب والمعارك وجرائم الحرب والأحداث البشعة وكل ما تعلق بها. وسرعان ما تبع هذا التيار حملة من الجولات السياحية المحلية لتلبية رغبات الزوّار في هذا المجال، فنجد المملكة المتحدة التي قامت بتنظيم عدة جولات إلى بروكسل وواترلو [*Brussels and Waterloo*] منذ 1850[2]، كما قام توماس كوك [*Thomas Cook*] بحلول أوائل القرن العشرين (1900) بتنظيم أول جولة سياحية إلى ساحات قتال جنوب إفريقيا المتعلقة بالحرب البويرية [*Boer War*] وذلك قبل توقيع السلم بين الطرفين وإنهاء العداء بينهما سنة 1902، وقد قام توماس كوك بإستعمال نفس خطّ السكك الحديدية التي إستعملها البريطانيون للتنقل أثناء العداء[3]. وفي ذات الفترة تقريبا أتاحت الولايات المتحدة الأمريكية إنشاء المتنزهات الوطنية لساحات القتال [*National Battlefield Parks*] من خلال تشريع أصدرته سنة 1890، من أجل إحياء ذكرى شجاعة وتضحية أولئك الذين لقوا حتفهم فيها وسرعان ما أصبحت هذه المواقع وجهة للسياح، خاصة موقع معركة جتينسبيرغ [*Gettysburg*] والذي يعتبر من أهم معارك الحرب الأهلية الأمريكية (1861–1865) وأكثرها دموية، الذي يستقطب سنويا أكثر من مليوني سائح[4].

إذن تمت ممارسة سياحة ساحات القتال إما عن طريق رحلات تجارية منظمة كما سبق وذكرنا أعلاه، أو عن طريق رحلات منظمة من قبل هيئات تطوعية مثل جمعية الشباب المسيحيين [*YMCA*] أو جيش الخلاص[*Salvation Army*] نذكر على سبيل الخصوص الرحلة المنظمة سنة 1928 إلى بلجيكا وفرنسا والتي إستقطبت 11.000 مشارك، والتي أصبحت أكبر رحلة من هذا القبيل المنظمة والموجهة إلى ساحات قتال الحرب العالمية الأولى.

---

[1]- *Stephen Miles, « Battlefield sites as dark tourism attractions : analysis of experience », Journal of Heritage Tourism, Vol 9, N° 2, 2014, p-p, 137-138.*

[2]- *Franc Baldwin and Richard Sharpley, op.cit, p-p, 186-187.*

[3]- *Voir : Jeremy Foster, Washed With Sun : Landscape and the making of White South Africa, University of Pittsburgh Press, 2008.*

[4]- *Franc Baldwin and Richard Sharpley, op.cit, p187.*

كما نشير في ذات السياق أنه تم بين 1919 و1921 إصدار حوالي ثلاثين (30) دليلاً إرشادياً إلى ساحات القتال. كما ساهمت الحرب العالمية الثانية كذلك في تزايد هذه الحركة فظهرت عدة مواقع مثل بيرل هاربر [*Pearl Harbour*] وهيروشيما [*Hiroshima*]، بالإضافة لمواقع حديثة أخرى مثل حرب الفييتنام وحرب الفولكلاند [*Folklands War*] بين بريطانيا والأرجنتين[1].

وبصفة عامة أصبحت سياحة ساحات القتال أو السياحة المتعلقة بالحرب أحد نماذج السياحة المظلمة الأكثر تداولا في السوق السياحية، مدعّمة بمجموعة كبيرة من منظّمي الرحلات السياحية الوطنية والمحلية لإستغلال الموروث الذي خلفته الحروب لتحقيق أرباح تجارية.

3- سياحة الرقّ أو العبودية [*Slavery Tourism*]:

تعتبر ظاهرة العبودية تاريخيا أقدم من السياحة، إذ تعود أول بوادر العبودية إلى أكثر من 10.000 سنة في بلاد الرافدين [*Mesopotamia*] التي تقع حاليا في العراق سوريا وتركيا بين نهري الدجلة والفرات وتعتبر مهد الحضارات الإنسانية، أين كانت طبقة الرّقيق تتكون أساساً من أسرى الحرب، كما كان يعتبر الرّق أحد مظاهر العقاب، أو بمثابة ضمان للوفاء بدين أو عاقبة عدم الوفاء بدين؛ كما وجدت العبودية في كل من الحضارة السومرية، الآمورية، البابلية، اليونانية والرومانية. ومنه كان يُنظر للعبودية في مختلف الحضارات بإختلاف عرقها ولونها على أنها أحد مظاهر النشاط الإقتصادي، فكانت المتاجرة بالعبيد والبيع في المزاد العلني ممارسات شائعةً في أفسوس [*Ephesus*] وبيزنطة [*Byzantttium*] وشيوس [*Chios*]، كما كان الأزتيك [*Aztecs*] في الجانب الآخر من الكرة الأرضية وقبل دخول أوروبا إلى العالم الجديد، يستغلون العبيد ويستعملونهم كقربان (تضحية بشرية) لإلههم هيتزيلوبوكتلي [*Huitzilopochtli*]. كذلك لم تسلم الحضارات الحديثة من ظاهرة العبودية[2].

أما السياحة وبالرغم من إنتشارها الواسع إلا أنها تعتبر أحدث نسبيا من ظاهرة العبودية، إذ يرى البعض أنه على الرغم من وجودها في الحضارتين اليونانية والرومانية إلا أن السياحة بمعناها المعاصر لم تظهر إلا في الآونة الأخيرة؛ غير أن هتين الظاهرتين يمكن جمعهما من خلال أحد مظاهر أو صور السياحة التي نتناولها من خلال هذه الدراسة، ذلك كون العبودية تتميز بكونها تحمل مخزونا من الألم والمعاناة والموت وهي من مميزات السياحة المظلمة. وعليه

---

[1]- *Ibid, p188.*

[2]-*Graham M.S. Dann and A.V. Seaton, « Slavery: Contested Heritage and Thanatourism », In : Graham M.S. Dann and A.V. Seaton (ed), Slavery, Contested Heritage and Thanatourism, The Hawthorn Hospitality Press, New York, 2001, p-p, 1-10.*

ليس من المستغرب أن عددا من مواقع ومحتشدات عبيد الأمس أصبحت اليوم مواقع للتراث السياحي، فنجد مثلا من بين هذه المواقع في كارولينا الشمالية [*North Carolina*] أين قام جوزيا كولنز [*Josiah Collins*] بإستعمال العبيد خلال سنوات 1830 لحفر قنوات بطول وعرض يبلغ 100.000 هكتارا من الأراضي من أجل إنتاج محصوله (الأرز)؛ في تينيسي [*Tennessee*] نجد آثارا لمساكن العبيد الذين إستعملهم سميث تراهرن [*Smith Trahern*] خلال 1858 لزراعة التبغ؛ أما في تنزانيا [*Tanzania*] نجد في المدينة الساحلية باغامويو [*Bagamoyo*] السجن القديم الذي تم إستعماله لحشد العبيد قبل نقلهم، بالإضافة لمجموعة من الأغلال والسلاسل والسياط. كما نجد في غانا [*Ghana*] قلعة كاب كوست [*Cape Coast Castle*] أين تمّ حشد آلاف العبيد قبل نقلهم إلى جزر الهند الغربية، هذا القصر يحظى اليوم بموقع إلكتروني خاص به *http://capecoastcastle.ghana-net.net/* وبمتحف خاص[1].

وفي ذات السياق، تعتبر اليوم قلاع العبيد [*Slave Castles*] على طول ساحل غرب إفريقيا أحد أهم الوجهات السياحية بالنسبة للسياح المهتمين بالتراث، الثقافة، التاريخ والترفيه؛ إذ تشكل هذه الأخيرة أثراً وتذكيراً مادياً يعكس التاريخ الطويل والمؤلم للعبودية في إفريقيا وكذا مخزوناً مهما من المعلومات والتراث؛ هذه القصور أُقيمت فيما مضى لحشد العبيد الذين تم القبض عليهم وإعدادهم لنقلهم عبر المحيط الأطلسي نحو الأمريكيتين أين كان يتم بيعهم غالبا لإستعمالهم في ميدان الزراعة. هذه القلاع متواجدة في أكثر من عشر دول إفريقية، إذ تحصي غانا مثلا حوالي 36 منها. والجدير بالذكر أنه وبسبب العلاقة الراسخة للعبودية مع الهوية العرقية، لابد من توخّي عدة إعتبارات عند إدراج هذا النوع من المواضيع الحسّاسة ضمن دراسات ومناقشات السياحة المظلمة. ذلك أنه من الواضح أنّ "زائر" هذه الأماكن سيصطدم بواقع الأعمال البشعة والمروّعة التي حدثت فيها، أين تمّ حشد آلاف العبيد الأفارقة في غُرف بالكاد تتحمل مئات الأشخاص، كما كانت هذه الغرف غير مزوّدة بالتهوية المناسبة أو الإضاءة أو حتى المرافق الضرورية، إذ تم إحتجازهم في هذه الظروف لأشهر طويلة دون عناية أو تغذية ملائمة ما أدى في أغلب الأحيان إلى عدة وفايات. وهو ما نراه واضحا خصوصا في قلعة كاب كوست [*Cape Coast Castle*] التي لم تتعرّض كغيرها للتدمير والسرقة أو التخريب، فبقيت تقريبا على حالها بجدرانها الملطّخة بالدماء والأوساخ وسوائل أخرى؛ فعلى السائح أن يكون مستعداً معنويا ليشهد ما تخزّنه هذه الأماكن.

[1]- *Graham M.S. Dann and A.V. Seaton, p-p, 11-13.*

إذ على عكس مخلفات العبودية في الولايات المتحدة ومنطقة الكاريبي [*Caribbean*]، لم يتمّ تهيئة وتجميل قلاع العبيد في إفريقيا لإستقبال السيّاح بل تُركت على حالها، مما يمنح تجربة فريدة وأكثر واقعية للزوّار[1].

4- سياحة السجون [***Prison Tourism***]:

إن زيارة سجن ما بعد تحويله إلى متحف أو ما أطلق عليه بـ"المتاحف العقابية" أصبح اليوم شكلاً شائعاً من السياحة والترفيه حول العالم، على مثال: متحف سجن الكلنك [*The Klink Prison Museum*] في لندن؛ متحف [*The NS Dokumentationiszentrum*] في ألمانيا؛ نزل سيليكا [*The Celica Hostel*] في سلوفنيا [*Slovenia*]؛ سجن ألكتراز [*Alcatraz*] في الولايات المتحدة؛ جزيرة روبن [*Robben Island*] في جنوب إفريقيا؛ سجن فريمانتل [*Freemantle*] في أستراليا؛ ... وغيرها[2]. إذ يقصد بالمتحف عادةً كل مؤسسة مكرسة لإقتناء، حفظ، دراسة، عرض وتفسير الأدوات والممتلكات ذات القيمة العلمية والتاريخية والفنية[3]. وقد ظهرت أول المتاحف العقابية خلال القرن التاسع عشر (19) كمؤسسات تعليمية عُرضت فيها أدوات وصور بشأن الجرائم ومرتكبيها، مثل صور من مسرح الجريمة والأسلحة التي أُرتكبت بها الجريمة؛ وقد إستعملت هذه المتاحف وسائل سمعية/بصرية لعرض أبشع أنواع الجرائم. ولا تنحصر سياحة السجون في المتاحف العقابية فحسب بل تشمل كذلك زيارة المطاعم التي يديرها المساجين والإقامة في الفنادق السجن [*Prison Hotels*]. ويشبه متحف السجن أي متحف آخر يتيح للزوار التعرف على الماضي في الحاضر من حيث الزمان والمكان، ويمنحهم فرصة زيارة مكان غير متاح لهم في الحياة اليومية "العادية" ذلك لأن أغلب هذه المتاحف موجودة في سجون سابقة[4]. وعلى الرغم من الإصلاحات المتعددة الذي عرفتها المنظومة العقابية، إلا أن السجون أُستخدمت تاريخيا لتسليط المعاناة على المساجين والمعارضين السياسيين، لذا نجد متاحف السجون تخوض في مختلف جوانب الألم والمعاناة من خلال عرض وسائل التعذيب البدني والذهني المُستخدمة، وعادة ما يتم عرض التسلسل الزمني لتطور هذه الوسائل أين تمّ تدريجيا التخلي عن وسائل التعذيب القاسية نظرا لتطور المعايير الأخلاقية وحقوق الإنسان[5].

---

[1]- *Rasul A.Mowatt and Charles H. Chancellor, « Visiting Death and Life: Dark Tourism and Slave Castles », Annals of Tourism Research, Vol 38, N° 4, 2011, p-p, 1410-1417.*

[2]- *Kevin Walby and Justin Piché, « The Polysemy of Punishment Memorialization : Dark Tourism and Ontario's Penal History Museums », Punishment and Society, 13(4), 2011, p452.*

[3]- *Michael Welch, Penal Tourism and a Tale of Four Cities : Reflecting on the Museum effect in London, Sydney, Melbourne, and Buenos Aires », Criminology and Criminal Justice, 13(5), 2013, p481.*

[4]- *Jennifer Turner and Kimberley Peters, « Unlocking Carceral Atmospheres: Designing Visual/Material Encounters at the Prison Museum », Visual Communication, 14(3), 2015, p311.*

[5]- *Michael Welch, op.cit, p493.*

وفي ذات السياق، يقصد بمتاحف السجون تلك المواقع والأماكن التي تعكس النظام القانوني والعقابي الذي كان سائدا، والذي تنقله إلى الزوار في الحاضر، إذ تجمع بين غايات ترفيهية وتربوية، ترتكز على طابع تجاري تسويقي وتعتمد على بنى تحتية سياحية مُعتبرة؛ كما أنها تستعمل أماكن غير مخصصة في الأصل للسياحة المظلمة؛ كذلك تعتبر متاحف السجون أماكن جذب سياحية تسوّق لنشاطها من خلال المنشورات والمواقع الإلكترونية الخاصة بها. ومن أشهرها متحف السجن ألكتراز [*Alcatraz*] وجزيرة روبن [*Robben Island*] التي تعكس أحد صور السياحة المظلمة[1].

5- مصانع التّسلية المظلمة [***Dark Fun Factories***]:

بالإضافة لما هو مبين أعلاه، تظهر السياحة المظلمة في صور أخرى أقل عتمة أو سوادا، نقصد هنا تلك العروض التجارية والأماكن السياحية التي تسعى لإعادة صناعة وتحويل الموت والمعاناة في شكل أخفّ وأكثر متعة وترفيها وهو ما أطلق عليه بـــ "مصانع المتعة المظلمة" [*Dark Fun Factories*]. فنجدها تهتم بالظواهر الغريبة الخارقة للعادة [*Paranormal*] كالأشباح أو المخلوقات الفضائية، كما نجدها تهتم ببعض الشخصيات الخرافية أو الأسطورية مثل دراكولا [*Dracula*] أو السّاحرات [*Witches*]؛ ومن أمثلتها متحف ساحرات سالم 1962 [*Salem Witch Museum*] في الولايات المتحدة، وقصر دراكولا [*Dracula's Castle*] في رومانيا، والجولات السياحية إلى الأماكن التي تسكنها الأشباح [*Hunted Tours*][2]، ...إلخ.

نجد إلى جانب ذلك ما يسمى بـ[*The Dungeon Visitor Attraction*]، – المتمثلة في قلاع وحصون قديمة تمت إعادة تهيئتها– كنموذج عن مصانع التسلية المظلمة وصورة أخف للسياحة المظلمة، وهي عبارة عن مؤسسات تجارية تنشط في المجال السياحي تنتمي لمجموعة مرلين للترفيه [*The Merlin Entertainments Group*] الكائن مقرها في المملكة المتحدة، والتي تعتبر ثاني أكبر متعامل سياحي في العالم بعد ديزني لاند [*Disney Land*]؛ تملك 58 مرفقاً سياحياً في 12 دولةً و14 علامةً تجاريةً، تؤمّن ما يزيد عن 13.000 وظيفةً خلال موسم الذّروة؛ واستضافت حوالي 33 مليون زائرا سنة 2007. وتدير هذه المجموعة أحد أشهر العلامات التجارية الترفيهية في المملكة المتحدة بما في ذلك مراكز الحياة البحرية [*Sea Life Centres*]،

[1]- *Sevinç Aslan, « Prison Tourism As A Form of Dark Tourism », The Journal of International Social Research, Vol 8, N°40, 2015, p605; Voir Aussi: Carolyn Strange and Michael Kempa, « Shades of Dark Tourism Alcatraz and Robben Island », Annals of Tourism Research, Vol 30, N° 2, 2003, p-p, 386-405.*

[2]- *Voir : Philip R.Stone, « "It's a Bloody Guide ": Fun, Fear and a Lighter Side of Dark Tourism at the Dungeon Visitor Attractions, UK », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 167-185.*

قصر وارويك [*Warwick Castle*]، ليغولاند [*Legoland*] ومنتجع ألتون تورز [*The Alton Towers Resort*]. ويقدم كل مرفق من هذه المرافق عروض رعب تبرز بعض أبشع مظاهر التاريخ المرتبطة بموقعها[1].

خاتمة:

بالرغم من الإهتمام الأكاديمي المتزايد بموضوع السياحة المظلمة، إلا أن هذه الدراسات في معظمها إعتمدت إلى حد كبير على وجهة نظر وصفية وضيّقة للظاهرة، بينما أهملت الجانب العملي والتطبيقي النابع من خوض تجربة أو تجارب السياحة المظلمة والدوافع والأهداف من ورائها. وقد جاءت دراستنا هذه لتعزيز الأسس النظرية لهذه الظاهرة وعرض بعض صورها العملية. إذ رأينا أنها تأخذ عدة أشكال بيد أنها كلها تتعلق بكل ما له صلة بالموت أو المعاناة أو العنف أو الألم، فنجد المهتمين بهذه الملامح يتوجّهون نحو ساحات المعارك أو مواقع الحوادث أو المجازر أو الكوارث؛ غير أن ما يدفعهم لذلك يختلف من شخص لآخر فهنالك من له ميول لمثل هذه التجارب، بينما هنالك من يدفعه الفضول أو التعاطف أو الخوف أو الغضب لزيارة هذه المواقع. كما تختلف درجات السياحة المظلمة من الأشدّ سواداً إلى الأكثر فتوحاً على حسب عدة عوامل متشابكة تتعلق بمدى إتصال الحدث أو الموقع بالموت والدوافع المحيطة به وإستجابة السياح له وغيرها من العوامل التي تم ذكرها ضمن الدراسة.

والملاحظ أن هذا النوع من السياحة في تزايد مستمر في الآونة الأخيرة نظرا لعدة عوامل متشابكة، منها كثرة الحوادث والمآسي حول العالم خاصة الأعمال الإرهابية والكوارث الطبيعية، وسرعة إنتشار هذه الأخبار عبر مواقع التواصل الإجتماعي المختلفة وكذا التغطية الإعلامية الضخمة لبعض هذه الأحداث، بالإضافة لإنجذاب الزوّار نحو هذه المواقع بدوافع متفاوتة بين الفضول والتعاطف أو حتى التعطّش لمثل هذه الأحداث. وبالرغم من أن البعض قد يرى أن إستغلال مثل هذه المواقع لتحقيق أرباح غير إنساني أو غير أخلاقي، إلا أن الإنسان بطبعه لطالما إنجذب نحو ما هو مجهول وغامض وغير ملموس، ولا تُستثنى ظاهرة الموت من ذلك.

في الأخير، فإن الدراسات حول السياحة المظلمة مقارنة بباقي أشكال السياحة الأخرى لا تزال في مراحلها الأولى، ولكن كشكل حديث نسبيا للسياحة خلقت السياحة المظلمة فرصا جديدة لعدد من الدول خاصة تلك التي لها تاريخ طويل؛ ومنه حاول المستثمرون إنتهاز الفرصة لتقديم عروض تستجيب لطلبات فئات معينة، وهذا ما يسمى بالسوق المتخصصة [*Niche Market*] الذي يركّز على منتوج واحد ألا وهو السياحة المظلمة في حالتنا.

[1]- *Ibid, p170.*

النتائج والتوصيات:

– إن فكرة "السياحة المظلمة" موجودة منذ القدم، إلا أن الإهتمام الأكاديمي بها لم يظهر إلا مؤخرا (خلال 25 سنة الماضية)، نظرا لزيادة إهتمام السياح بها.

– إن السياحة المظلمة مرتبطة بالموت والمعانات والكوارث التي هي أحد ملامح الإنسانية، وعليه فإن تشجيع هذه السياحة يعتبر بمثابة الحفاظ على الثراث التاريخي والثقافي والحضاري لمجتمع معين؛ إذ تعتبر بمثابة أرشيف للذاكرة الجماعية.

– يعتبر من الضروري إحاطة الفاعلين في مجال السياحة، وخاصة وكالات السفر ومنظمي الرحلات، بالمعرفة اللازمة فيما يخص المواقع المرتبطة بالموت والمعانات والعنف؛ نظراً للحساسية التي تحيط بهذه الأخيرة؛ وكذا محاولة توضيح دوافع زيارة هذه المواقع لتبسيط وتسهيل تنظيم هذا النوع من السياحة.

– من الناحية الإقتصادية، تعتبر هذه المواقع والأحداث المتعلقة بالموت والمعانات، منتوجاً سياحياً إضافياً ندعوا الفاعلين في هذا المجال لإستغلاله والترويج له.

– نظراً لطبيعة السياحة المظلمة المرتبطة بالموت والمعانات، وللتخفيف من الإنعكاس الثقافي والإجتماعي السلبي الذي قد ينتجه المجتمع، لابد من إيجاد نظام قانوني معين يحكمها وينظمها.

– كما لاحظناه من خلال هذه الدراسة، فإن إهتمام العالم العربي بالسياحة المظلمة شبه منعدم، لذا ندعوا لتشجيع الدراسات في هذا المجال؛ وتشجيع هذا النوع من السياحة.

قائمة المراجع:

1. *Carolyn Strange and Michael Kempa, « Shades of Dark Tourism Alcatraz and Robben Island », Annals of Tourism Research, Vol 30, N° 2, 2003, p-p, 386-405.*
2. *Franc Baldwin and Richard Sharpley, Battlefield Tourism : « Bringing Organised Violence Back to Life », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 186-206.*
3. *G.J. Ashworth and Rami K.Isaac, « Have illuminated the dark?: Shifting perspectives on 'dark' tourism », Tourism Recreation Reaserch, Vol. 40, No 3, 2015, p-p, 1-10.*
4. *Graham M.S. Dann and A.V. Seaton, « Slavery: Contested Heritage and Thanatourism », In : Graham M.S. Dann and A.V. Seaton (ed), Slavery, Contested Heritage and Thanatourism, The Hawthorn Hospitality Press, New York, 2001, p-p, 1-29.*
5. *Jennifer Turner and Kimberley Peters, « Unlocking Carceral Atmospheres: Designing Visual/Material Encounters at the Prison Museum », Visual Communication, 14(3), 2015, p-p, 309-330.*
6. *Jeremy Foster, Washed With Sun : Landscape and the making of White South Africa, University of Pittsburgh Press, 2008.*
7. *Jhon Lennon and Malcolm Foley, Dark Tourism: the Attraction of Death and Disaster, Third Edition, Thomson Learning, 2006.*

8. *John Beech, « Genocide Tourism », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 207-223.*
9. *Kevin Walby and Justin Piché, « The Polysemy of Punishment Memorialization : Dark Tourism and Ontario's Penal History Museums », Punishment and Society, 13(4), 2011, p-p, 451-472.*
10. *Michael Welch, Penal Tourism and a Tale of Four Cities : Reflecting on the Museum effect in London, Sydney, Melbourne, and Buenos Aires », Criminology and Criminal Justice, 13(5), 2013, p-p, 479-505.*
11. *Philip R.Stone, « "It's a Bloody Guide ": Fun, Fear and a Lighter Side of Dark Tourism at the Dungeon Visitor Attractions, UK », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 167-185.*
12. *Philip Stone and Richard Sharpley, « Consuming Dark Tourism: A Thanatological Perspective », Annals of Tourism Research, Vol 35, N° 2, 2008, p-p, 574-595.*
13. *Rasul A.Mowatt and Charles H. Chancellor, « Visiting Death and Life: Dark Tourism and Slave Castles », Annals of Tourism Research, Vol 38, N° 4, 2011, p-p, 1410-1434.*
14. *Richard Sharpley, « Shedding Light on Dark Tourism: An Introduction », In: Richard Sharpley and Philip R. Stone (ed), Channel View Publications, The Darker Side of Travel: The Theory and Practice of Dark Tourism, Toronto, 2009, p-p, 3-22.*
15. *Sevinç Aslan, « Prison Tourism As A Form of Dark Tourism », The Journal of International Social Research, Vol 8, N°40, 2015, p-p, 600-608.*
16. *Stephen Miles, « Battlefield sites as dark tourism attractions : analysis of experience », Journal of Heritage Tourism, Vol 9, N° 2, 2014, p-p, 134-147*

17. سارة درويش، "مناطق الكوارث الطبيعية والحروب والمقابر تجذب عشاق "السياحة المظلمة"، دراسة ترصد خريطة مزاراتها في مصر بين ساحات معارك قديمة ومدافن وممرات سيول، ووكالات السفر توصي بزيادة التوعية والإهتمام ببنيتها التحتية"، تم الإطلاع عليه يوم: 2018/09/21. على موقع:

https://www.youm7.com/Home/Search?allwords=%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AD%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B8%D9%84%D9%85%D8%A9